http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1989) السنة الثامنة - الاربعاء (15) كانون الاول 2010

بعد ان كانت مدينة الحضارة والعلم والجمال

مدينة الاعظمية تغرقها النفايات وتشتكي الاهمال

الاعظمية .. المدينة الفاتنة الغافية على ضفاف دجلة الخير

تفتح ملف مجلس محافظة بغداد

تقع مدينة الاعظمية في شمال بغداد وهي شبه جزيرة تحيطها المياه من جهاتها الثلاث ، لذا صار جوها رطبا ، ما جعلها مصيفا للاثرياء والتجار الميسورين من اهل بغداد، وشيدت على ضفاف دجلة التي تحتضنها، قصور فخمة شامخة لكبار تجار بغداد ، وكانت وما زالت قبلة لطلاب العلم وازاهر الرافدين.

تبلغ مساحة الاعظمية ٢٧ كم مربعا ، الا ان نصف تلك المساحة وجدناها عند تجوالنا في المدينة مغطاة بالازبال والقمامة، ولاندري اين منها لجان مجلس محافظة بغداد وخاصة هيئة الخدمات التي يفترض ان تقوم بالتنسيق مع الجهات المتخصصة لتاخذ على عاتقها تقديم الجهد البلدي وتخليص المدينة من الذباب صباحا والبعوض ليلا ؟ كما لاندري حالنا حال المواطنين الاخرين اين ذهبت التخصيصات المالية المرصودة للارتقاء بمناطق بغداد والاعظمية جزء منها؟

بغداد / سها الشيخلي

تصوير / ادهم يوسف

لقد كان في كل شبر من ارض ذلك الاعظمية النجباء ، لتقول كما اعتادت دائما نعم للعراق ولا والف لا لكل قوى الظلام التي تريد السوء بالوطن .

نبذة تاريخية

الدكتور حسين امين يحدثنا عن مقبرة ومشهد الامام ابو حنيفة النعمان فيقول:

– اثر وفاة الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي سنة ٢٥٠ هجرية / ٧٦٧ م دفن في مقبرة الخيزران (ام الخليفة هارون الرشيد) شمال محلة الرصافة ، وبمرور الزمن تكونت حول المقبرة محلة عرفت بمحلة مشهد ابي حنيفة وصارت منذ ذلك الوقت المكان الدال في تعيين خطط بغداد القديمة ، ولما حضر ابو سعد مستوفي المملكة السلجوقية بغداد سنة ٤٥٩هجرية /١٠٦٦ م قام ببناء مدرسة للحنفية عند مشهد ابي حنيفة النعمان عرفت بمدرسة ابي حنيفة وعين مدرسا لها لتدريس علوم الفقه وهو ابو طاهر الياس بن ناصر الدليمي الحلفي ، واوقف على المدرسة ضيعة تصرف غلتها لتغطية نفقاتها ، وقد جدد ابو سعد تربة ابي حنيفة وبنى على القبر قبة شاهقة وانشأ بين يديه رواقا وصحنا وجعلها مشهدا كبيرا. ويشير الدكتور امين الى ان الرحالة ابن جبير عندما زار بغداد عام ٥٨٠/ ١١٨٤ م قال فيها كلاماً جميلاً ومنها وصف المقبرة فقال بالرصافة كان باب الطاق المشهور على شط دجلة ، وفي تلك المحلة مشهد عظيم البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيها قبر الامام ابو حنيفة النعمان (رضي الله عنه) وبه تعرف المحلة ، كما زار جامع ابو حنيفة الرحالة ابن بطوطة فذكر ان قبة عظيمة تم انشاؤها على ضريح الامام ابي حنيفة النعمان وهناك زوايا للطعام توزع فيها مجانا الى كل جائع ، وليس في مدينة بغداد زوايا يطعم فيها الطعام ما عدا تلك الزاوية. وكانت مناسبة للقاءالشيخ سمير العبيدي من سلالة الامام ابي حنيفة النعمان واحد سدنة الجامع حيث تحدث الينا في مبنى قائممقامية الاعظمية قائلا:

– في عام ٩٤١هجرية / ١٥٣٤ م اعاد السلطان سليمان القانوني بناء القبة الشاهقة على القبر ثم جددها السلطان مراد الرابع وفي عام ١٦٨١ م بنى عمر باشا القبة المنيفة والمنارة الجميلة بامر السلطان ابو الفتح محمد العثماني ، وفي سنة ١٦٣٨ م ذهب الوزير سليمان باشا الكبير والي بغداد منارة المسجد وفي عام ١٨٣٩ امر السلطان عبد المجيد باصلاح ما يجب اصلاحه وتزيين المرقد ، ثم جدد المرقد وما حوله دون القبة والمنارة سنة ١٨٧١ ، واليوم يعتبر مشهد ابي حنيفة النعمان من المزارات المشهورة في بغداد. هذه هي صورة المقبرة كما يرويها التاريخ اما اليوم فعند تجوالنا في محلة ٣١٢ وهي المحلة المحيطة بالجامع لم نشاهد سوى اكوام من النفايات والازبال قرب المقبرة الملحقة بالمسجد ولنا ان نتصور مدى الاهمال!

محلات الاعظمية

سمة الاهمال لاتقتصر على محلة دون سواها فمن المؤسف القول ان اغلب ان لم تكن كل المحلات التي تجولنا بها كانت مهملة تعلوها اكوام النفايات وانقاض البناء وعندما قصدنا المجلس البلدي ليرافقنا احد المنتسبين فيه لم نجد سوى حراس المبنى مع العلم ان الوقت كان يقارب الـ١١ صباحا ، ما جعلنا نستعين بموظف من قائممقامية المدينة الذي رافقنا في جولتنا ومع هذه الجولة يواصل الشيخ العبيدي وصفه لمرقد الامام ابو حنيفة النعمان والمحلات المحيطة به حيث يقول :

هناك عدة محلات في الاعظمية لا تزال تحتفظ باسمائها القديمة منها : محلة الشيوخ : تقع ما بين جامع الامام الاعظم ومنطقة الصليخ ، سميت كذلك لان بعض شيوخ القبائل العربية نزلوا فيها وابتنوا دورهم عند مجيئهم مع السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨ م واغلبهم من شيوخ العبيد ، اما محلة السفينة فموقعها على النهر قرب موقع الجسر الخشبي القديم (نهاية الشارع الايمن باتجاه المقبرة الملكية حتى مستشفى النعمان ، وكان اسمها في العصرالعباسي (سوق يحيى) نسبة الى يحيى البرمكي وكانت تسمى بالبرمكية ايضا ، و فيها قصور على نهر دجلة منها قصروضاح وقصر ام حبيب وقصر الرصافة ، وسميت هذه المحلة بالسفينة منذ قرن ونصف حيث كان اغلب اهالي الاعظمية يشتغلون بدباغة الجلود وحياكة البسط و(العبي) وصناعة الاحذية (الخفافين) وكانت ترد الى محلاتهم كل ثلاثة اشهر سفينة كبيرة من الخليج العربي تحمل منتوجاتهم الى هناك ، وكان الناس يترددون على السفينة عند مجيئها فاطلقوا اسم السفينة على تلك المحلة من ذلك الوقت.

كما ان اصل محلة الحارة كما يؤكد الشيخ العبيدي بتخفيف الراء والتي تعني المحلة لانها المحلة الوحيدة القديمة في الاعظمية ، التي كانت بيوتها منظمة ومتلاصقة وغير متباعدة وهي اول ما بنيت من محلات الاعظمية بعد الخراب الذي سببته الفيضانات ووباء الطاعون اللذين ضربا وخربا الاعظمية ايام العثمانيين.

وسميت محلة النصة بهذا الاسم لان ارضها واطئة وكانت تغرق دائما بالفيضانات او بماء النزيز وفيها منطقة تعرف بالنزيزة الى اليوم وتقع بالقرب من جامع ابو حنيفة النعمان ، في حين ان محلة الشماسية اكتسبت تسميتها نسبة الى الشماس احدى وظائف الكنائس والاديرة (خادم الكنيسة) ، وسميت قديما ايضا دار الروم نسبة الى الروم الذين سكنوها عندما جاء بهم هارون الرشيد الى بغداد وتعد هذه المنطقة جزءاً من محلة راغبة خاتون .

محلة نجيب باشا : نسبة الى الوالي العماني الذي حكم بغداد سنة ١٨٨٤ م وتقع هذه المحلة بين ساحة عنتر وساحة الكشافة حاليا ، ويدل اسم راس الحواش على معنى هذا الاسم كما يذكر الشيخ العبيدي ، لانها نهاية الدور المشيدة حيث كانت تمتد فيها البساتين والمزارع الى ما ورائها باتجاه باب المعظم . ويختتم الشيخ العبيدي حديثه واصفا مدينة الاعظمية بانهامدينة ولادة فقد انجبت العديد من العلماء منهم الطبري و ابو بشر الحافي و ابو ربيعة والاساتذة الكبار الاجلاء ، منهم رشيد عالي الكيلاني الذي لا يزال قصره شاخصا الى الان والاستاذ ناجي معروف حيث هناك شارع يحمل اسمه ، كما سكنها كل من عبد السلام عارف وعبد الكريم الجدة وصالح مهدي عماش .

ومن محلات الاعظمية الاخرى الوزيرية: وتقع جنوب الاعظمية وقد سكنها العديد من الوزراء ، وفيها عدة مدارس منها المدرسة المأمونية التي درس فيها الملك فيصل الثاني .

ولايفوتنا ان نذكرمحلة راغبة خاتون حيث انها من المناطق العريقة في بغداد ويعود تاسيسها الى العهد العثماني وسميت كذلك نسبة الى السيدة راغبة التي كانت ذات نفوذ كبير وتضم اضافة الى حي الشماسية الذي ذكرناه حي المغرب وفيها مساجد وجوامع كثيرة ومن اهم شوارعها شارع الكمب وشارع الضباط ، الا ان اغلب تلك المناطق الجميلة تعلوها القمامة والازبال والحكومة المحلية غافلة عنها .

مساجد وجوامع الاعظمية

في الاعظمية العديد من المساجد والجوامع اشهرها ، جامع النداء و جامع الدهان و جامع العساف و مسجد عائشة الحيدري و جامع عبد الهادي العاني و مسجد سبع ابكار و جامع الرواس و جامع الفرقان و جامع الامام علي و جامع العمري و مسجد بشر الحافي و مسجد الحاجة نشمية و مسجد رزوقي العنبر و مسجد راغبة خاتون و جامع الصديق و مسجد الراوي و مسجد ومدرسة هيبة خاتون و مسجد فخام و مسجد الحاج نعمان و مسجد الحاجة خديجة و جامع الصليخ ومسجد الانبياء ، وقد وجدنا اكوام القمامة والازبال وبقايا البناء تحيط ببعض تلك الاماكن الطاهرة .

النادي الاولمبي الرياضي

يعد هذا النادي من اشهر معالم الاعظمية ويقع قبالة ساحة النعمان ويشرف من جانبيه على شارع عمر بن عبد العزيز وعلى شارع المشاتل ، دخلنا النادي وتحدثنا الى رئيسه منذ عام ١٩٩٠ ولحد الان الكابتن جمال عبد المجيد الذي قال :

– كان يطلق على هذا النادي سابقا ، النادي الرياضي الملكي ، وبدأ ببنائه الملك غازي وتم انجازه عام ١٩٤٠ ، وكان يشغل مساحة كبيرة جدا تبدأ من سدة ناظم باشا و فيه ثلاث ساحات لكرة القدم وساحتان للعبة (الباسكت بول) ومسابح ، وقد تم استبدال اسمه الى النادي الرياضي الجمهوري بعد اعلان النظام الجمهوري ، وبدات مساحته تتقلص الى ان وصلت الى ما هي عليه الان و كان في السابق مخصصاً للملك ولكبار رجال الدولة وكانت تجرى فيه حلبات المصارعة . ويضيف لقد تحول اسمه الان الى مركز شباب الاعظمية ، واهم الالعاب الرياضية التي تمارس فيه لعبة المصارعة وتليها لعبة الملاكمة ، وكرة القدم والعاب ساحة وميدان الى جانب العاب الكارتيه والجودو والكونفو ، ويضم الان لاعبي خماسي الكرة وقد تصدر نادينا في مباريات عالمية للمصارعة وكل هذه الكؤوس التي ترونها تدلل على احرازنا رتباً متقدمة من المصارعة والملاكمة .

المقبرة الملكية

الى وقت قريب كان هذا المعلم التاريخي يعد وجها ناصعا لمدينة الاعظمية ، الا انه الان غارق في الاهمال والفوضى وتحيط به الازبال ويصف الدكتور عماد عبد السلام استاذ التاريخ هذا المعلم قائلا :

– تم انشاء المقبرة في مكان كان يعرف بمقابر الاسرة العباسية حيث دفن فيها العديد من الخلفاء العباسيين ، واختار الملك فيصل الاول انشاء هذه المقبرة لتكون بالقر ب من خلفائه الاقدمين كما اختار الملك ذاته ان تكون الى جانب المقبرة جامعة اسلامية سميت وقتها بجامعة (ال البيت) ، وقد بنيت المقبرة على الطراز العربي الاسلامي واريد من تصميمها ان تكون شبيهة للمباني العباسية السالفة .

وختاما نطلب من لجان البلديات في مجلس المحافظة والمسؤولين في المحافظة ان يزوروا هذه المدينة الباسلة ، مدينة الاعظمية العريقة ليشاهدوا بانفسهم ما الت اليه من اهمال ، ولكن يبدو ان مجلس محافظة بغداد برئيسه مشغول بامور يحسبها اهم من معرفة تاريخ وقصص مدن بغدادية عريقة كانت مثار فخر للزائر اضحت بسبب الاهمال واللامبالاة غارقة بالنفايات. وقبل ان نأتي على ختام موضوعنا كنا نود ان نتطرق ولو بشكل سريع الى الواقع الصحي ومستشفى النعمان ، غير ان ادارة المستشفى امتنعت عن ذلك وطلبت موافقة وزارة الصحة ، ولم تشفع مرافقة احد موظفي القائممقامية لنا.

مواطنون يتساءلون عن التخصيصات المالية لتطوير احياء بغداد